

قراءة جديدة لأعمال برهان الدين، قاضي سيواس

د. صادق أحمد جودة

قسم العلوم الاجتماعية / جامعة عمان الأهلية

ملخص البحث

يعالج هذا البحث بطريقه علمية جادة جهود شخصية علمية سياسية من الشخصيات التي ظهرت أواخر القرن الثامن الهجري. وقد كانت هذه الشخصية، شخصية برهان الدين أحمد، الذي قرر أن يقيم ملكاً له في سيواس ونواحيها من أرض الأناضول اليوم حيث كانت تقوم دولة سلاجقة الروم.

ولقد أعد برهان الدين أحمد واستعد وتسليح بالعلم في حياة والده، الذي كان قاضياً في سيواس ونواحيها، وكان هاجسه ان يقيم ملكاً له هناك يكون مستمراً في عقبه. وقد استغل برهان الدين الوضع السياسي حيث كان آل أرتنا ولاية آسيا الصغرى السلجوقية آنذاك، يمرون بدور من الضعف والخور، ومركز والده كقاضٍ ووصي على آخر أبناء أرتنا في حكم سيواس ونواحيها. ولما مات والده برزت شخصيته أكثر واستطاع ان يستولي على الحكم. وقد جاءت عظمة برهان الدين أحمد لا من كونه قد استطاع ان يقيم له ملكاً، بل لأنه وقف موقف المتزن بين قوة الأتراك (العثمانيين) الناشئة، وقوة المماليك في مصر والشام.

ومما زاد في عظمته كونه حاول ان يقف أمام تيمورلنك المغولي، ذلك الطاغية الذي دَوَّخ الممالك الكثيرة في الهند وفارس والعراق والشام، بل وقتل رسله (سفراءه)، مما جعل تيمورلنك يحسب له حساباً. ولولا انشغال تيمورلنك في حروبه في جهات الهند لربما حصلت معركة شرسة بين الطرفين في جهات سيواس، وربما لانتصر تيمورلنك فيها. ولكن وقوف برهان الدين أحمد قمة شامخة في وجه العدوان التيموري، أكسبه شهرة الى اليوم كرجل مبادئ ومواقف ومدافع عن الحق الشرعي أمام الغزو. وبعد أفليست الحياة مواقف؟ أو ليس الرجال هم صانعوها؟

Summary

This study addresses the personal and scholarly efforts of an Islamic figure who appeared in the late eight hira century.

Burhan Al-Dean Ahmad, an Islamic figure, made up his mind to establish his kingdom in se was which was part of Anadhoui (Turkey) where the Roman Salajiqu Kingdom used to exist during his father's life, Burhan Al-Dean was well-equipped with education and knowledge and his primary preoccupation was to set up that kingdom.

Being the son of the spiritual magistrate Burhan Al-Dean exploited the weak political conditions of Al-Aritna, the rulers of Asia Minor at that time. He acquired great prominence when he siezed the thrown after his father's death.

His prominence was not only due to his ability to establish a kingdom but also to his firm stance between the rising Turkish power (the ottoman state) and the Mamalik power.

What incorporated more strength to his power was his attempt to face Taimour-lonk, the notorious tyrant Mongol leader, Burhan Al-Dean even killed Taimourlank's messengers, the thing that made the tyrant conditions of him. Had Taimourlank not been engaged in war in India, a fierce battle might have taken place between them. Taimourlank might have won the battle, Burhan Al-Dean's firm resistance would nevertheless have won him the ever-lasting fame of a man of principles and a defender of legitimate rights.



توطئة

أقام السلاجقة دولة لهم في آسيا الصغرى، التي عرفت بالأناضول (تركيا اليوم). وظلت تلك الدولة تقوم بواجبها في التصدي للعدو البيزنطي ثم للعدو الصليبي، فترة طويلة، من تاريخها، الذي امتد (٧١٧-٤٧٠هـ^(١)، ١٠٧٧-١٣١٧م). وقد استطاع السلاجقة ان يسيطروا على ثلاثة أرباع آسيا الصغرى في اقصى اتساع لهم. وهذا لا شك يعطينا الدليل على أهمية تلك الدولة، التي غلب عليها اسم دولة سلاجقة الروم.

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، شرح وتعليق نبيل خالد الخطيب، ح/٥، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧/١٩٨٧م. ٣٤٤-٣٤٠/٥

زامباور: معجم الانساب والاسرات الحاكمة في الاسلام، تعريب أحمد زكي وآخرين، جامعة فؤاد الأول، القاهرة. ١٩٥١م. ص: ٢١٥-٢١٨.

وعندما دهم الخطر المغولي آسيا الصغرى، كان سلطان سلاجقة الروم، هو غياث الدين كيخسرو ابن علاء الدين كيقباز الثاني (٦٣٤-٦٤٤هـ، ١٢٣٦-١٢٤٦م)، وقد التقى بالمغول في موقعة Kose Dagh (كوسه داغ، الجبل الأقرع)^(١)، في عام ٦٤١هـ/١٢٤٣م، وكان النصر حليف المغول، وانهزم غياث الدين. ونظراً لأن غياث الدين بن علاء الدين، كان قد اعد واستعد لهذه المعركة وحشد الآلاف من المسلمين والكرج واليونانيين والفرنج، فقد كانت هزيمته مؤلة جداً. واستطاع المغول بعدها، ان يزيّدوا من احكام قبضتهم على بلاد سلاجقة الروم^(٢).

ولما شعر غياث الدين بأنه قد أصبح أعجز من ان يقاوم المغول الذين أخضعوا البلاد الواسعة المشتملة على اذربيجان وارمينيا، وبلاد سلاجقة الروم كأرزن الروم^(٣)، وارنجان (ارزنكان)^(٤)، وسيواس^(٥)، وقيصريّة (قيسارية)^(٦)، وغيرها، أعلن خضوعه للمغول، وأرسل اليهم رسولاً يعلن الخضوع والتبعية. ومعنى هذا، زوال الدولة السلجوقية في الأناضول بالتدريج، وما حصل ما هو الا البداية^(٧). ثم بدأ المغول بعد ذلك يعينون واليا من قبلهم على بلاد سلاجقة الروم بجانب السلاطين الضعاف، الذين

(١) الذهبي: العبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت ١٩٦٦م. ١٦٧/٥.

أبو الفداء: المختصر، الطبعة الحسينية المصرية على نفقة محمد عبد اللطيف الخطيب، ١٧٢-١٧١/٣.

ابن الوردي: تنمة المختصر لأبي الفداء، تحقيق أحمد رفعت البدرأوي، ح/٢، ط/١، دار المعرفة، لبنان، ١٩٧٠م/١٣٨٩. ٢٤١/٢، ٢٥٣-٢٥٢.

ابن خلدون: العبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٩/١٩٧٩م. ٥٥٨/٥.

المقريزي: السلوك، ح/١ ق/٢، مطبعة لجنة التأليف ط/٢، تحقيق مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٥٦/١٩٥٧م. ٣١٣/٢/١.

Cambridge History of Islam, Val. 1A. England, 1979, p. 163, 211.

(٢) الهمداني (رشيد الدين): جامع التواريخ، تعريب فؤاد الصياد، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، ص: ٣٠٠.

الصياد: المغول في التاريخ، ح/١، طبع ونشر سعيد رأفت، القاهرة، مصر، ص: ١٨٢-١٨٣.

(٣) أرزن الروم: بلدة بأرمينيا، جل أهلها أرمن، وكان لها سلطان مستقل في القرن السابع الهجري. انظر:

ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٩٧/١٩٧٧م. ١٥٠/١.

القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، طبعة دار صادر، بيروت، لبنان، ص: ٤٩٤.

(٤) أرزنجان (أرزنكان): بلدة مشهورة من بلاد أرمينيا، بين بلاد الروم وخلاط، وغالب أهلها أرمن وبها مسلمون.

نفس المصدرين السابقين.

(٥) سيواس: بلد مشهور من بلاد الروم (سلاجقة الروم) كانت إحدى قواعدهم، وهي من تركيا اليوم. ابن عبد الحق: مراصد

الاطلاع، دار احياء الكتب العربية، ط/١، القاهرة، مصر. ١٣٧٣/١٩٥٤م. ٧٦٨/٢. دائرة المعارف الاسلامية.

٢٥-٢٣/١٣. (مادة سيواس)

القلقشندي: صبح الأعشى، مصدر سابق ٣٣٢/٥.

(٦) قيصريّة (قيسارية): مدينة مشهورة من بلاد الروم، وكربي بني سلجوق وهي في تركيا اليوم.

القزويني: مصدر سابق ص: ٥٥٣. القلقشندي: صبح الأعشى، ٣٣٤/٥.

(٧) ابن الوردي: تنمة المختصر، مصدر سابق. ٢٥٣/٢.

الباز العريني: المغول: دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م. ص: ١٠٧.

شغلوا النصف الثاني من القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجري وحتى عام ٧١٨هـ/١٣١٨م^(١). وكان الوالي المغولي هو الحاكم الفعلي، والسلطان السلجوقي اسماً بلا رسم. وظهرت أسماء ولاية المغول منذ ذلك التاريخ. ولعل من أشهرهم دمرداش (تمرتاش) بن جوبان (شوبان)، الذي سيطر على الوضع في بلاد سلاجقة الروم، في الفترة الممتدة ٧٢٣-٧٢٨هـ^(٢)/١٣٢٣-١٣٢٧م، وعلاء الدين أرتنا ابن جعفر الذي تولى في الفترة ٧٢٨-٧٣٦هـ/١٣٢٧-١٣٣٥م، ثم استقل بعد ذلك حتى توفي عام ٧٥٣هـ^(٣)/١٣٥٢م، سوى فترة خضع بها للنفوذ المملوكي في مصر. ثم خلفه بنوه وأحفاده في سيواس و... والده محمد باك الذي توفي في حدود عام ٧٦٧هـ^(٤)/١٣٦٥م، تاركاً الحكم لولده، علاء الدين علي،

(١) أبو الفداء: المختصر، مصدر سابق، ١٧/٤

المقريزي: السلوك، ح/٢ ق/١، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، مصر ١٩٤١. ١٨٦/١/٢، ح/٢ ق/٢ نفس الطبعة. ٨٥٥/٣/٢

القرماني: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتب بيروت، توزيع مكتبة المتنبي بالقاهرة، ومكتبة وهبة بدمشق. ص: ٢٩٤، ٢٩٥. وذكر موت السلطان مسعود الثالث عام ٧١٨هـ/١٣١٨م.

القلقشندي: صبح الأعشى، مصدر سابق، ٣٤٤/٥

ستانلي لين بول: الدولة الإسلامية، القسم الأول مع اضافات لبارتولد، وخليل أدهم، تعريب صبحي فرزات، اشراف محمد أحمد دهمان، مكتب الدراسات الإسلامية بدمشق، مطبعة الفلاح، دمشق، ١٣٩٤/١٩٧٤م. ص: ٣٢٣-٣٢٤.

(٢) الذهبي: دول الاسلام، تحقيق فهم شلتوت وآخر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٧٤م. ٢/٣٦٦ الصفدي: الوافي بالوفيات، ح/١٠، تحقيق جاكين سوبلة، دار صادر، بيروت، ١٤٠٠/١٩٨٠م. ١٠/٤٠٠-٤٠٣.

ابن كثير: البداية والنهاية، ح/١٤، ط/٢، مكتبة المعارف، بيروت. ١٤/١٧٣

ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، ١٣٨٤/١٩٦٤م. ص: ٢٢٩-٢٣٠.

ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، دار الجيل بيروت، لبنان. ٢/١٠٢.

(٣) الصفدي: الوافي بالوفيات، ح/٨، اعتناء س. ديدرينغ، دار صادر، بيروت، ١٣٩١/١٩٧١م. ٨/٣٣٨-٣٣٧

ابن حبيب: تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ح/٣، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦م. ٣/١٦٨.

ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٣. ١٠/٢٨٩.

ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٨٤م. ٢/٢٩٤.

ابن تغري بردي: الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق فهم شلتوت، جامعة أم القرى بمكة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر. ١/١٠٣.

(٤) ابن حجر: الدرر الكامنة، طبعة دار الجيل، بيروت، لبنان. ٣/٣٧٨

ابن خلدون: العبر، مصدر سابق، ٥/٥٦١

ابن عربشاه: عجائب المقدور في نواب تيمور، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الانجلو المصرية، مطابع دار نافع، القاهرة، مصر، ١٣٩٩/١٩٧٩م.

ص: ١١٦-١١٧.

القلقشندي: صبح الأعشى، ح/٥، مصدر سابق. ٥/٣٤٥

ابن حبيب: تذكرة النبيه، مصدر سابق. ٣/١٧١-١٧٢.

الذي حكم البلاد حتى وفاته عام ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م مخلفاً في الحكم صبيّاً صغيراً عهد لمجموعة من الأمراء والأعيان للقيام بتربيته، على ان يكون قاضي سيواس، هو الذي يبيت في الأمر، واليه الحل والعقد. وقاضي سيواس هذا هو والد القاضي برهان الدين أحمد الذي اشترك في مؤامرة قضت على محمد باك بن ارتنا عام ٧٦٧هـ / ١٣٦٥م، ثم أصبح وزيراً لولده علاء الدين علي، حتى وفاته عام ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م. ولما توفي علاء الدين علي وترك طفله محمداً، وعهد للقاضي شمس الدين محمد بن القاضي سراج الدين سليمان، قاضي سيواس، والد القاضي برهان الدين أحمد، أصبح أحمد من الشخصيات الهامة في الدولة. وعندما توفي والده، حل محله واثبت جدارته في الحكم والادارة، مما لفت اليه الأنظار. ولما توفي الطفل الصغير بعد سنة أي عام ٧٨٣هـ / ١٣٨١م، كانت الفرصة مواتية لبرهان الدين أحمد، فعمل على الاستيلاء على الحكم وتلقب بالسلطان.

ويجب ان نشير هنا الى ان الدولة السلجوقية عندما بدأ الضعف يدب في جسمها منذ أواسط القرن السابع الهجري، اثر السيادة المغولية على الأناضول أخذت دول محلية فتية في الظهور في تلك البلاد (طوائف الملوك).

وكانت العلاقة بين المغول المتسلطين على تلك البلاد وطوائف الملوك علاقة لا مبالاة من الطرفين مما فسح المجال أمام طوائف الملوك ومكّنها من فرض وجودها ضمن الخريطة السياسية لتلك البلاد بصفة عامة.

ومن أهم دول طوائف الملوك: أبناء بروانة الذين يعودون في نسبهم الى معين الدين سليمان، أحد أمراء السلاجقة، وقد امتد حكمهم ٦٧٦-٧٧٠ / ١٢٧٧-١٣٠٠م في سينوب وما جاورها. وأبناء صاحب أتا في قراحصار الذين ينتسبون الى فخر الدين علي بن الحسين بن أبي بكر أحد وزراء سلاجقة الروم في عهدهم الأخير. وقد أقاموا ملكهم أواخر القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي. وأبناء قراسي في باليكسر. وبلادهم هي لواء قراسي اليوم في تركيا، ويعودون في نسبهم الى قراسي بك أو قراعيبي بك، أحد أمراء مسعود الثاني السلجوقي، وامتد حكمهم بين ٧٠٠-٧٣٧هـ / ١٣٠٠-١٣٣٦م، وظلوا حتى قضى عليهم العثمانيون. وأبناء صاروخان الذين يعودون بنسبهم الى احدى القبائل التركمانية، وقد أقام صاروخان مؤسس حكمهم دولته في مغنيسا، في الاقليم الذي يدعوه الأتراك لشكري ايلي. وقد دام حكم أبناء صاروخان ٧٠٠-٨١٣هـ / ١٣٠٠-١٤١٠م، حتى قضى عليهم العثمانيون. وأبناء آيدين، الذين يعودون في نسبهم الى الأمير محمد بك، أمير السواحل أيام سلاجقة الروم. وقد نهج ابنه آيدين نفس

(١) زامبور: معجم الأنساب والاسرات، مرجع سابق ص: ٢٣٢-٢٣٣.

سانلي لين بول: الدول الاسلامية مرجع سابق ص: ٥٣٥.

(٢) ستانلي لين بول: المرجع السابق نفسه.

(٣) المرجع السابق نفسه.

النهج وشغل نفس الوظيفة، وهم احدى العشائر التركمانية. وأقام آيدين بك حكمه في ازميز وسلجوق وآيدين (كوزل حصار) الأشهر، وبركي. واستمر حكمهم ٦٩٩-٧٠٠-٨٠٥/١٢٩٩-١٤٠٢م حتى قضى عليهم العثمانيون. وأبناء ازميز الذين يعودون بنسبهم الى جنيد بك بن حسن أغا قراسو باشي (ازميرا وغلي) في مدينة ازميز وملحقاتها في الفترة ٨٠٦-٨٢٩/١٤٠٣-١٤٢٥م. وأبناء منتشا وتنسب دولتهم الى منتشا بك الكردي الأصل ابن حاجي بهاء الدين ملك السواحل أيام السلاجقة. وقد أقام له اماره في فترة الضعف السلجوقي استمرت فترة من ٧٠٠-٨٢٩هـ/١٣٠٠-١٤٢٥م في ولاية منتشا اليوم. وظلت هذه الامارة حتى استولى عليها العثمانيون. وأبناء تكة التركمان الذين أقاموا حكمهم في الفترة ٧٠٠-٨٣٠/١٣٠٠-١٤٢٦م في مركزهم بانطالية في قطاع ليكييا. ويعودون في نسبهم الى الاميرتكة بك أو باشا أحد أمراء الأطراف أيام السلاجقة، وقد انضمت دولتهم الى العثمانيين آخر الأمر. وأبناء أشرف في بكشهرى في قطاع بيسديا القديمة في الأناضول. وتاريخهم مضطرب وقد ألوا عام ٧٢٨/١٣٢٧م الى السيادة العثمانية. وأبناء حميد الذين ينتسبون الى حميد بك، أحد رؤساء قبائل التركمان وقد أقام دولته أواخر القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي ٧٩٣/١٣٩٠م في منطقة بيسديا في لواء حميد أباد، وشمال لواء تكة، ثم توسعت فيما بعد، وأخيراً استولى عليها أبناء قرامان والعثمانيون. وأبناء كرميان في كوتاهية، وهم يعودون في نسبهم الى يعقوب بك عليش التركماني أحد أمراء سلاجقة الروم. واستمر حكمهم ٧٠٠-٨٣٢هـ/١٣٠٠-١٤٢٨م حتى قضى على دولتهم العثمانيون. وأمراء دنزلي الذين أقاموا لهم ملكاً في الفترة ٦٧٦-٧٧٠/١٢٧٧-١٣٦٨م وأخيراً ألحق امارتهم بالدولة العثمانية والمعلومات عنهم قليلة. وأبناء قرامان، وتعد دولتهم من أقوى الدول في بلاد الأناضول بعد الدولة العثمانية. وكان مقر حكمهم في لارندة وقونية وأقسري واركلي وغيرها وقد استمر حكمهم ٦٥٤-٨٨٨هـ/١٢٥٦-١٤٨٣م الى ان ضمت بلادهم الى الدولة العثمانية. وأبناء جاندار في قسطنطيني (ابناء اسفنديار) وهم على الأغلب تركمان، وقد أقاموا دولتهم في الفترة (٦٩١-٨٦٦/١٢٩١-١٤٦١م) الى ان استولى عليها العثمانيون. وأبناء دلغادر في مرعش والبستان الذين استمرت دولتهم (٧٤٠-٩٢٨هـ/١٣٣٩-١٥٢١م). ويرجح انهم تركمان وقد ظلوا حتى سيطر عليهم العثمانيون. وأبناء رمضان في أطنة، والذين أقاموا ملكهم في الفترة ٧٨٠-١٠١٧هـ/١٣٧٨-١٦٠٨م. وظلوا حتى دخلوا ضمن السيادة العثمانية. ولعل أهم تلك الدول والامارات الدولة العثمانية التي تنتسب الى عثمان بن ارطغرل في جهات انقرة^(١).

(١) ستانلي لين بول: الدول الاسلامية، مرجع سابق ص: ٣٩٥ وما بعدها وقد لخصت هذه المعلومات عما أورده ستانلي لين بول الذي اعتمد على مصادر عثمانية لم تتوفر لي أثناء البحث.
القلقشندي: صبح الأعشى، مصدر سابق. ٥/٣٤٦ وما بعدها وتكلم القلقشندي عن أولاد قرامان وبنو حميد وبنو آيدين وبنو منتشا والعثمانيين. وفي ٨/١١ وما بعدها تكلم عن عدد دول طوائف الملوك.

من هو القاضي برهان الدين:

هو برهان الدين أحمد بن شمس الدين محمد بن سراج الدين سليمان، القاضي الحنفي الشهير بقاضي سيواس. ويعود في نسبه الى خوارزم من قبيلة سالور التركية. كان جده سراج الدين سليمان قاضياً في قيصريّة وقد تزوج حفيده كيكافوس الثاني، سلطان سلاجقة الروم^(١). ومعنى هذا ان الجد سراج الدين سليمان كان ذا مكانة مرموقة، وعلى علاقة طيبة بالدولة السلجوقية، والا لما تزوج من بنات ملوكها. ثم ان شمس الدين محمد، والد برهان الدين أحمد، كان هو الآخر ذا مكانة مرموقة، وتولى قضاء قيصريّة بعد والده. وكل هذا زاد في علو منزلة برهان الدين أحمد، فيما بعد^(٢). وقد تزوج برهان الدين من ابنة الأمير سولي دلغادر وصاهر بني دلغادر على بناته^(٣).

ولد برهان الدين في سيواس عام ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م، وأخذ بها قسطاً من التعليم على يد الشيخ جمال الدين الملطي، ثم قدم الى حلب لأخذ المزيد، لكنه عاد بعد مدة الى سيواس. ثم خرج الى القاهرة بعدها ليستزيد علماً وأدباً^(٤). وبقي في القاهرة مدة ليست بالقصيرة، عاد بعدها الى سيواس. وتؤكد المصادر أنه ذهب الى القاهرة جرياً وراء السيطرة هناك وتولي الحكم، اذ انه خضع لجملة أوهام أثر نبوءة تنبأ له بها أحد المنجمين من انه سيحكم. وما دام انه قد انساق وراء هذا الوهم فقرّر ان من الخير له ان يحكم في مصر، لكثرة خيراتها وقوة الدولة فيها^(٥). ومن يتمعن في الأمر يدرك ان الأوهام لا تبني الدول الا انها تثير في نفوس البعض هوس الحكم وإقامة الدولة وتولد في صاحبها حب العمل في هذا الطريق.

ومكث مدة في القاهرة، تأكد له خلالها استحالة تحقيق حلمه، ويعلق ابن تغري بردي على هذا بقوله^(٦) «أقام بها سنين، فما صار بها جندياً، فقال في نفسه: أقمت هذه المدة الطويلة، وما صرت جندياً، فمتى أصير سلطاناً» لهذا قرر العودة الى سيواس وفي نفسه ميل الى تولي الحكم^(٧). وكان أحد الفقراء قد تنبأ له وهو في القاهرة بانه سيحكم في بلده.

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، مصدر سابق. ٣٤٥/٥، ٣٤٩ باختصار

زامباور: معجم الأنساب والاسرات الحاكمة، مرجع سابق. ص: ٢٣٣-٢٣٤

ستاني لين بول: الدول الاسلامية، مرجع سابق، ٥٣٥/٢.

(٢) ابن عربشاه: عجائب المقدور في نوائب تيمور، مصدر سابق، ص: ١١٥.

(٣) ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، تحقيق محمد أحمد دهمان، ط/١، دار الفكر، سوريا.

١٩٨٦/١٤٠٦هـ. ص: ٢٥ من المقدمة.

ستاني لين بول: الدول الاسلامية، مرجع سابق، ٥٣٧/٢، ٤٥٧.

(٤) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، مصدر سابق، ٢/٢١٧، ٢٢٠.

(٥) المصدر السابق نفسه.

(٦) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، مصدر سابق. ٢/٢٢٠.

(٧) المصدر السابق نفسه.

ونلاحظ هنا ان نفس برهان الدين كانت تواقه لأن تتولى أرفع المناصب وأسمى المراتب والا لما صدق ما تنبأ له به المنجمون. ولما جرى وراء تلك الأوهام متنقلاً ما بين سيواس والقاهرة، وان مجمل أعماله بعد عودته الى سيواس تفصح لنا عما كان يجول في خاطره من الوصول الى الحكم. ولما عاد الى سيواس سُرَّ به والده كثيراً لأنه قد حصل علماً غزيراً وفضلاً لا مزيد عليه، فأخذ يشغل بالتدريس والتصنيف، ونظم الشعر بالعربية والتركية والفارسية. وشخصية كشخصية برهان الدين بما حصلت من علم وأدب، وبما لقيته من شهرة القضاء في شخص والده وجده، وبما لها من استعداد فطري لحب الرئاسة، وبما تملكه من حرية الحركة كان لا بد لها من ان تشتهر في دنيا العلم والسياسة. ولكل هذا أخذ برهان الدين يتصل بحكام سيواس وغيرها من المدن المجاورة، ويتصرف تصرف الأمراء الكبار، وتزياً بزي الجنود وخرج للصيد، كعادة الأمراء، ونال شهرة عظيمة^(١)، ولازم الخدمة السلطانية في سيواس، واطلع على خبايا الحكم وسياسة الدولة. وظل هكذا على هذه الحال حتى توفي سلطان سيواس علاء الدين علي بن محمد باك بن أرتنا عام ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م وخلفه ولده الصغير محمد. ولما كان صغيراً عهد الى الأمير قلج ارسلان للقيام بأمره ويساعده في ذلك عدد من الأمراء على رأسهم شمس الدين محمد والد برهان الدين أحمد الذي توفي بعد عام ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م، فتولى برهان الدين أحمد مناصبه^(٢).

كيف تولى القاضي برهان الدين الحكم؟

تسلم برهان الدين أحمد مناصب والده بعد موته بعد عام ٧٨٢ / ١٣٨٠ ومن جملتها الاشراف على أمور الطفل الصغير محمد، آخر بني أرتنا، وقد أثبت برهان الدين مقدرة فاقت مقدرة والده، وأبان عن دربة سياسية، وحنكة ادارية، جعلته يقبض على زمام الأمور بيد قوية. وكان الأفراد الذين شاركوه في تدبير أمور الطفل الصغير هم: الأمير غضنفر بن ظفر، وفريدون، وابن المؤيد، وجي كلدي، وحاجي ابراهيم، بالاضافة الى قلج ارسلان المربي الخاص للطفل الصغير^(٣).

المهم ان القاضي برهان الدين، استطاع ان يسيطر على الوضع باسم الطفل الصغير محمد حتى مات عام ٧٨٣ / ١٣٨١م^(٤). وبعدها بدأ ينفذ الخطط التي تكفل له تصدر الحكم، وبداية عصر أسرة

(١) المصدر السابق. ٢/ ٢٢٢.

(٢) ابن عربشاه: عجائب المقدور، مصدر سابق ص: ١١٦.

ابن تغري بردي: المنهل الصافي، مصدر سابق. ٢/ ٢٢٣.

(٣) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، مصدر سابق. ٢/ ٢٢٢.

ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٦٣م. ١١/ ٢٠٩.

(٤) ستانلي لين بول: الدول الاسلامية. ٢/ ٥٣٥.

جديدة في سيواس وقيصرية وتوقات وغيرها، متشجعاً بموت الطفل الصغير دون وريث شرعي^(١).

وكان برهان الدين يعتبر وجود الأمراء الذين كانوا يساعدونه في تسيير أمور الصغير محمد، عقبة في سبيل انفراده في الحكم، بل معوقاً له في تنفيذ خطته لاقامة حكم قوي مستقل. لذا عمد أولاً وقبل كل شيء الى ابعادهم عن سيواس، مقر الحكم، الى خارجها، فأرسل المؤيد، وجي كلدي، وحاجي ابراهيم الى ادارة احدى المدن التابعة لسيواس، وبذا لم يبق عنده سوى فريدون، وغضفر^(٢)، وحتى هذان كان يخشى ضررهما بخاصة وانهما أخذوا يعاملانه بحذر، ربما لأنهما لمسا حرصه على تولي الأمور بنفسه، وتوقعاً منه الضرر، أو ربما أنهما كانا يريدان الانفراد دونه فأثرا البعد ومعاملته بحذر شديد.

وكان القضاء عليهما في سيواس هاجس القاضي برهان الدين، فادعى المرض وطلب منهما زيارته للتشاور في أمور الحكم، واعدّ لهما كميناً للقبض عليهما، فلما حضرا اليه لاطفهما أول الأمر كي يطمئنا اليه، ثم خرج الكمين والقي القبض عليهما. ومعنى هذا انه قضى على منافسيه الخطرين في سيواس، فأعلن نفسه سلطاناً على سيواس وأعمالها بصفة رسمية، وهذا بعد موت الصغير محمد ٧٨٣هـ / ١٢٨١م^(٣).

وقد أثار عمل برهان الدين هذا حقد بعض الأمراء خارج سيواس عليه، وعلى رأسهم شيخ نجيب

(١) ابن عرشاه: عجائب المقدور، مصدر سابق، ص: ١١٦.

ابن حجر: الدرر الكامنة، مصدر سابق، ٣/ ٢٧٨ وذكر ان محمداً قتله أحد الأمراء وتولى الحكم بنو عثمان. ولم يذكر صراحه حكم برهان الدين أحمد لسيواس وملحقاتها.

ابن خلدون: العبر، مصدر سابق، ٥/ ٥٦١. ويقول ان برهان الدين أحمد قتل محمداً الصغير عام ٧٩٢هـ / ١٢٩٠م وتولى الحكم بدلاً منه. ومثله القلقشندي: صبح الأعشى ٥/ ٣٤٥.

ابن تغري: المنهل الصافي، مصدر سابق، ٢/ ٢٢٣ لم يشر الى ان برهان الدين قتل محمداً الصغير، بل ذكر انه استبد بالأمير.

ابن قاضي شهبه: تاريخ ابن قاضي شهبه، مجلد ١/ ١، ح/ ٣. تحقيق عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي، دمشق، سوريا، ١٩٧٧م. ويقول ان برهان الدين عاد الى بلده وصاهر أميرها وقتله وتولى بدلاً منه.

دائرة المعارف الاسلامية: ٦٠٥/ ٣ «مادة برهان الدين أحمد قاضي سيواس» وتقول ان برهان الدين عاد من مصر الى أرزنجان وصاهر أميرها وقتله وتولى بدلاً منه.

ستانلي لين بول: الدول الاسلامية. ٢/ ٥٣٥ لم يشر الى القتل وأهميته لاعتماده على مصادر تركية غير متوفرة لدينا. والمهم نحن أمام مصادر ومراجع تساندها تقول بأن برهان الدين قتل محمداً الصغير وبعضها لا تشير الى حادثة القتل بل الى أن برهان الدين استبد بالأمير. ولعل كونه قد عمل على الاستبداد بالأمير قد أوجد مبرراً للمصادر التي تقول بأنه قتل محمداً. ونحن نميل الى تبرئة ساحته. ونؤكد استبداده وشدته.

(٢) ابن تغري: المنهل الصافي، مصدر سابق، ٢/ ٢٢٣.

(٣) المصدر السابق نفسه.

ابن عرشاه: عجائب المقدور، مصدر سابق، ص: ١١٧/ ١١٨.

متولي توقات^(١)، وجي كلدي، نائب أماسية^(٢). وكان الواجب يحتم على القاضي برهان الدين ان يخضعهم لنفوذه، ويقضي على تبرمهم لما فعله، بطريقة أو بأخرى، فخرج على رأس قواته، واستطاع ان يسيطر على الوضع، ويقبض على شيخ نجيب ويحضره الى سيواس، رغم أنفه، ويضعه تحت مراقبته المباشرة مما أعطى القاضي هيبة وقوة عند الآخرين. وبمعنى أدق فما دام القاضي قد أخضع شيخ نجيب وهو أشرس الحاقدين عليه، سكت الجميع واذعنوا وتأكدوا من سطوته وبهذا وطد أركان امارته داخليا^(٣).

علاقة القاضي برهان الدين ببني قرمان:

لما تولى القاضي برهان الدين الحكم في سيواس وما يتبعها في حدود عام ٧٨٣/١٢٨١م، كان عليه ان يفرض هيئته خارج أملاكه كما فرضها داخلها. وكان عليه أن يتعامل مع بني قرمان التركمان المتواجدين في جهات أرمنك وقونية وقرامان بجنوب آسيا الصغرى (الأناضول) منذ أواسط القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وذلك لشدة خطرهم عليه^(٤) ويؤكد ابن تغري بردي^(٥) ان القاضي برهان الدين خرج وقاتل بني قرمان وكل من عصاه وانه أخضع بني قرمان في لارندة وارمنك وغيرهما. وقد تقوى بتتار الروم المتواجدين هناك وعضد بهم نفسه، وفرض سطوته على الجميع. ولم يقض برهان الدين على حكم بني قرمان بل فرض عليهم سيادته وأبقاهم في الحكم وظلوا في أملاكهم أثناء حكمه. وفي بعض الأحيان كان القاضي برهان الدين يضطر الى محاربة بني قرمان كحربه معهم من أجل نيكده اصرى^(٦).

علاقة القاضي برهان الدين ببني دلغار:

وكان على القاضي برهان الدين أن يتعامل مع بني دلغار في جهات مرعش والبستان بما يضمن له العلاقة الحسنة معهم وبخاصة وانهم على الحدود بين العثمانيين والمماليك أقوى قوتين اسلاميتين آنذاك. وقد حملت لنا المصادر^(٧) أنباء المصاهرة التي قامت بين برهان الدين وسولي الأمير الدلغاري،

توقات: مدينة تركية بلغ عدد سكانها ٣٠ الف نسمة في القرن التاسع عشر وبها صناعة النحاس وتقع في سنجق سيواس من اياه سيواس. دائرة المعارف الاسلامية ٢٣-٢٥.

(٢) أماسية: مدينة تركية تقع على نهريشيل ايرمق يبلغ سكانها ٣٠ الف نسمة بها عدد من المساجد والمدارس وثلاث سكانها أرمن. دائرة المعارف، ٦١٠/٢.

(٣) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، مصدر سابق. ٢٢٣/٢.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، مصدر سابق. ٣٤٦-٣٤٧/٥.

المقريزي: السلوك، ١/٢/٦٣٠. والقول للمحقق مصطفى زيادة هامش «٥».

زامبور: معجم الانساب، مرجع سابق ص: ٢٣٦، ٢٣٨.

(٥) المنهل الصافي، مصدر سابق. ٢٢٣/٢.

ابن عربشاه: عجائب المقدور، مصدر سابق، ص: ١١٧-١١٨.

(٧) ستانلي لين بول: الدول الاسلامية، ص: ٤٣٧.

ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، مصدر سابق، ص: ٢٥.

حيث زوّج سولي ابنته الكبرى من برهان الدين، في حين زوّج ابنته الصغرى من السلطان محمد شلبي العثماني.

علاقة القاضي برهان الدين بأرزنجان:

وأرزنجان هي إحدى مدن بلاد سلاجقة الروم، وتقع على ضفة الفرات اليمنى على بعد ٢٠٠ ميل غرب أرزن الروم، وقيل أنها عرفت بأرزنكان. وكانت المدينة أيام القاضي برهان الدين أحمد تشتهر بكثرة زراعتها كالقمح والعنب والقطن بالإضافة الى وجود معدن النحاس^(١).

وكان يسيطر عليها أحد الأمراء المدعو مطهرتن^(٢). وقد ذكره ستانلي لين بول (Stanly Lane Poole) بأنه يعود في نسبه الى آل أرتنا حكام سيواس قبل القاضي برهان الدين فهو ابن أخ علاء الدين أرتنا. وقد نظر الى القاضي برهان الدين نظرة عدا، وقد أخضعه القاضي الى نفوذه فأخذ يستقبل أعداءه ويؤوي الخارجين عليه. ولم يجد قرايلوك لما ساءت علاقته بالقاضي برهان غضاضة في الذهاب الى مطهرتن الذي استقبله وقدم له كل عون^(٣). وهذا يؤكد لنا حقد مطهرتن على القاضي برهان الدين. ولا يستبعد ان يكون الاثنان قد أخذوا ينسقان جهودهما ضد القاضي في سيواس.

وظل مطهرتن يكن السوء لسيواس حتى بعد موت قاضيها، وتولي سليمان بن بايزيد بن مراد بن أورخان بن عثمان أمرها، فلما توجه سليمان الى جهات أرزنجان هرب مطهرتن الى تيمورلنك في جهات أذربيجان فتمكن سليمان من اخضاع المدينة ونهبها.

وأخذ مطهرتن يحرض تيمورلنك على اخضاع سيواس وحارب هو وقرايلوك الى جانبه عندما قدم الى سيواس مدلاً بهذا على حقه على سيواس منذ أيام قاضيها برهان الدين، وذلك عام ٨٠٢هـ/١٧٩٩م^(٤). ولا شك في ان مشاركة قرايلوك لمطهرتن في عداؤه لسيواس كان نتيجة لرفض سيواس لسيطرة قرايلوك بعد أن قتل قاضيها برهان الدين، عام ٨٠٠/١٣٩٧م.

علاقة القاضي برهان الدين بقرايلوك:

وكان بهاء الدين عثمان قرايلوك بن فخر الدين، قد تولى الحكم، عام ٧٨٠/١٣٧٨م على جماعة التركمان، الآق قونيللو، في ديار بكر، واتخذ من مدينة آمد (في تركيا اليوم) مركزاً له هناك^(٥). ولما ظهر

(١) كي ليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، تعريب بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٥/١٩٨٥م. ص: ١٥٠.

(٢) ابن عريشاه: عجائب المقدور، مصدر سابق، ص: ٩٤، ١٢٤.

ستانلي لين بول: الدول الاسلامية، مرجع سابق. ٥٣٤/٢. وقد ورد اللفظ بصور منها طهر، طهرتن، مطهرتن.

(٣) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، مصدر سابق. ٢٢٣/٢.

زاماور: معجم الانساب، مرجع سابق، ص: ٢٢٣.

(٤) ابن عريشاه: مصدر سابق. ص: ١٢٣-١٢٥.

المقريزي: السلوك: ح/٣ ق/٣ ص: ٩٧٩، ١٠٢٣، ١٠٢٧، ١٠٢٨ باختصار.

(٥) ابن تغري بردي: الدليل الشافي، مصدر سابق. ٤٤٠/١.

ستانلي لين بول: الدول الاسلامية، مرجع سابق. ٥٦١/٢.

القاضي برهان الدين في سيواس سلطاناً عليها، وثبتت أقدامه، رغم أنف مجموعة الأمراء المحيطين به، وأخذ ينشر سيادته على بني قرمان، واكتسب شهرة، أعلن عثمان قرايلوك خضوعه لبرهان الدين. وقد نوّه ابن عربشاه بهذا فذكر^(١): «وعثمان الملقب بقرايلوك قال له: أنا تحت أوامرك أمشي، وفي قيد طاعتك أسير، فكان قرايلوك من جملة خدمه، وفي حساب تراكمته وحشمه.»

ولكن سرعان ما ساءت العلاقات بين الطرفين فأخذ قرايلوك يتردد على أماسية وأرزنجان، المدينتين اللتين يكن ولاتهما لبرهان الدين العداء، وبخاصة أرزنجان كما مر. وكان القاضي برهان الدين أول الأمر لا يأبه بقرايلوك ولا يقيم وزناً لقوته، لذلك عندما ساءت علاقته به لم يتخذ الاحتياطات اللازمة ضده، وبخاصة بعد أن منع عنه ما كان يقدمه إليه من الأموال والهبات كدليل التبعية. وفي الوقت الذي أخذ به عثمان قرايلوك يجمع حوله أعداء القاضي برهان الدين للإطاحة به، كان القاضي برهان الدين قد أهمل قرايلوك، مما جعل قواته تتنامى بسير وسهولة^(٢).

وقد استغل عثمان قرايلوك فرصة انصراف القاضي برهان الدين عن الاهتمام بأمره، فقوى نفسه وأخذ يتحدى القاضي، فكان أن ركب عثمان برجاله، ومرّ بجانب سيواس حيث كان القاضي ينزل، فلم يترجل قرايلوك له، فعز على القاضي ذلك العمل من قرايلوك فجهز نفسه على الفور بمن معه من الجنود وأرسل يطلب من بقية جنده اللحاق به، وتبع قرايلوك إلى أن أدركه وقد حلّ المساء، والقاضي في قلة من جنده، فارتد عليه عثمان قرايلوك واستطاع أن يأسره ثم يقتله^(٣). وكان عثمان قرايلوك لا يود قتل القاضي برهان الدين، بل كان يود أن يتفاهم معه حول خلافتهما، لولا تدخل شيخ توقات أحد الحاقدين على برهان الدين الذي عزله عن ولاية قلعة توقات عام ٧٨٣/١٣٨١ م.

والمهم استجاب عثمان قرايلوك إلى تحريض شيخ توقات وأقدم على قتل القاضي برهان الدين، وسنعالج هذه القضية وما ترتب عليها بعد ذلك.

علاقة القاضي برهان الدين بالسلطان المملوكي الظاهر برقوق:

تولى السلطان برقوق عرش الممالك في الفترة ما بين ٧٨٤-٨٠١ هـ/١٣٨٢-١٣٩٨ م، وكانت علاقته بالقاضي برهان الدين غير واضحة أول الأمر، وربما كان ينظر إلى القاضي بعين المتربص لما عساه متبعاً من ضروب السياسة.

وقد شهد عام ٧٨٤/١٣٨٢ هروب الطنباغا، نائب الأبلستين الخاضع لبرقوق إلى سيواس عند القاضي برهان الدين. وهذا يعني أن القاضي بدأت علاقته تسوء مع السلطان برقوق. وقد تجلّى هذا السوء حينما تعاون القاضي برهان الدين مع الأمير خليل دلغادر، عدو برقوق، وغزياً معاً أملاك السلطان برقوق

(١) عجائب المقدور في نوائب تيمور، مصدر سابق، ص: ١١٨.

(٢) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، مصدر سابق، ٢/٢٢٣.

(٣) ابن عربشاه: مصدر سابق، ص: ١٢٠.

المقريزي: السلوك، ح/٣ ق/٢ ص: ٩٠٦.

ابن تغري بردي: المصدر السابق، ٢/٢٢٤.

في آسيا الصغرى (الأناضول) ورندة دوركي التي كانت تحت سيطرة يلبغا الناصري، نائب حلب للسلطان، وذلك عام ٧٨٦/١٣٨٤ م^(١).

ويبدو ان علاقة القاضي قد تحسنت في نفس العام مع برقوق بدليل انه أهدي^(٢) اليه الهدايا، ربما لأن السلطان تأكد لديه ضرورة ايجاد نوع من التفاهم مع القاضي برهان الدين كي يقف معه ضد بني دلغار الذين كثيراً ما كانوا يشهرون العداء للدولة المملوكية مستغلين مركزهم على أطراف الأملاك المملوكية. ثم ان القاضي برهان الدين كان من مصلحته أن ينال ثقة الممالك كي يستعين بهم كقوة أولى في العالم الاسلامي ليستطيع تثبيت أركان دولته في سيواس. ولكن هذه السياسة لم تكن ثابتة الأركان لأن القاضي كان يهيمه ابراز كيانه في المنطقة فنراه سرعان ما عدل عن موقفه هذا عام ٧٨٩هـ/١٣٨٧م وانحاز الى جانب تمرىغا الأفضلي (منطاش) صاحب ملطية التائر على السلطان برقوق^(٣).

وقد استمرت ثورة منطاش عام ٧٩٠هـ/١٣٨٨م، وتطورت الأمور ولم يثبت منطاش لجيش السلطان برقوق المرسل لاختصاصه، وهرب الى القاضي برهان الدين في سيواس.

وقد أصبح لزاماً على القاضي برهان الدين ان يدافع عن حليفه منطاش أمام القوات المملوكية التي قدمت الى سيواس فأخذ يتصل بالتتار في بلاد الروم وبغيرهم من الأرمن وجمع حوالي ستين ألف مقاتل^(٤). وقادهم مع منطاش ضد يلبغا الناصري نائب حلب وقائد القوات المملوكية. وكانت موقعة شرسة بين الطرفين بالقرب من سيواس سقط فيها عدد كبير من القتلى من الطرفين، الأمر الذي أجبر السلطان برقوق على ارسال الأغذية والمعدات والتجهيزات العسكرية بسرعة الى يلبغا الناصري^(٥).

(١) المقرئزي: السلوك، ح/٣ ق/٢ ص: ٥١٨-٥١٩ حوادث عام ٧٨٦هـ.

زامبور: معجم الأنساب، مرجع سابق، ص: ٢٣٤.

(٢) المقرئزي: المصدر السابق. ٥٢٢/٢/٣.

(٣) المصدر السابق ٥٦٧/٢/٣ وذكر ان برهان الدين قاضي سيواس قد انضم الى جانب تمرىغا الأفضلي (منطاش) ووافقه

قرا محمد التركماني والماجاري نائب البيرة المملوكي ويبلغا المنجكي وعدد من الممالك الاشرفية (عام ٧٨٩ / ١٣٨٧م).

الشوكاني: البدر الطالع، ح/١، ط/١، مطبعة السعادة، القاهرة. ١٣٤٨هـ. ١٦٣/١ باختصار شديد.

أبن حجر: أنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق محمد دهمان، مجلد ٢، دمشق، ١٣٩٩م. ٤٠٠/٢ وما بعدها.

ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، تحقيق حسن حبشي، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧١م. ١٥٨/١

ابن خلدون: العبر، مصدر سابق. ٤٨٢/٥.

وملطية: مدينة تركية تقع بالقرب من الفرات عند مصب نهر قره صو قديماً، وموقعها اليوم على سفح جبل طوروس في وسط

تركيا بأرمينيا وعددها ٦٥ ألف نسمة، انظر الموسوعة العربية الميسرة: اشراف محمد شفيق غربال، ق/٢. دار احياء

التراث، بيروت، ص: ١٧٤١.

(٤) المقرئزي: السلوك، ح/٣ ق/٢ ص: ٥٧٨-٥٧٩

ابن قاضي شهبه: تاريخه، مصدر سابق، ص: ٢٣٩، ٢٤٠-٢٤١

ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، مصدر سابق، ١٦٨/١

ابن حجر: أنباء الغمر، مصدر سابق. ٤١٨/٢.

(٥) المقرئزي: المصدر السابق نفسه.

ابن تغري بردي: المنهل، مصدر سابق، ٢/٢١٨. النجوم: ٢٥٢/١١، ٢٥٣.

ولكن مهما تكن الخسارة فان يلبغا الناصري قائد القوات المملوكية قد تقوى بما وصله وحاصر سيواس، ولكن دون أن يتمكن من النيل منها وذلك لتحصينها وكثرة المدافعين عنها، فاضطر ان يعود الى قاعدته في حلب. وفي أثناء العودة فاجأه التتار من الخلف وأوقعوا به عدداً كبيراً من الخسائر، مما اضطره لقتالهم مجدداً، ثم عاد الى حلب دون ان يحقق ما أرادته منه السلطان بالقضاء على ثورة منطاش الذي بقي سليماً مع حليفه القاضي برهان الدين^(١)

ومن غير المتوقع آنذاك لجأ منطاش الى مغادرة سيواس مغاضباً لحليفه القاضي برهان الدين، ربما لأن برهان الدين تأكد ان منطاش لا يعتمد عليه كثيراً وانه ربما لا يستفيد من علاقته معه لأنه طامع في الثورة والملك، ثم ان مركز منطاش ضعيف بالنسبة لبرقوق وبرهان الدين بحاجة الى قوة ثابتة تساعده ويعتمد عليها، وان من المصلحة له أن لا يستمر في عداته لبرقوق، بل عليه ان يحسن علاقته به، وربما وقف منطاش على نوايا القاضي برهان الدين فخرج خائفاً من سيواس^(٢).

ثم تطورت الظروف في الدولة المملوكية وعزل السلطان برقوق عن السلطة ثم عاد ثانية، ولما عاد اتصل به القاضي برهان الدين يعتذر عما بدر منه من العداة أثناء تمرد منطاش فقبل السلطان برقوق عذره وتحسنت العلاقات بينهما، لأن مصلحة الطرفين كانت تقتضي ذلك فبرقوق بعد عزله وثورة منطاش ظهرت حاجته الى حليف في بلاد سلاجقة الروم في آسيا الصغرى على حدوده الشمالية يعتمد عليه، وبرهان الدين بعد أن ساءت علاقته مع منطاش تأكد لديه ضرورة الاعتماد على قوة ثابتة في المنطقة ووجدها في سلطنة المماليك^(٣).

وبعد ان حل الاتفاق بين سيواس والقاهرة أيام برهان الدين والسلطان برقوق، قدمت رسل سيواس تُعرب عن ولائها للسلطان، وانها ترغب في اقامة علاقات طيبة معه، كما حصل عام ٧٩٦هـ/١٣٩٣م حيث أعلنت الرسل في القاهرة ان القاضي برهان الدين في الطاعة ويتربق ورود أوامر السلطان اليه بالتحرك الى أية جهة يعينها.

ولعل وراء كل هذا ان برهان الدين قد خسر قيصرية عام ٧٩٣/١٣٩٠م كما أشار المقرئزي^(٤)

(١) المصادر السابقة نفسها.

(٢) المقرئزي: المصدر السابق. ٥٨٠/٢/٣

ابن حجر: أنباء الغمر، مصدر سابق. ٤١٩/٢، ٤٢١ وقد أشار الى الخلاف بين منطاش والقاضي برهان الدين، وذكر ان القاضي أراد ان يقبض على منطاش فهرب منه.

(٣) المقرئزي: السلوك، مصدر سابق. ح/٣ ق/٢ ص: ٨١٧ حوادث عام ٧٩٦هـ.

(٤) المصدر السابق، ٧٤٩/٢/٣

ابن الصيرفي: نزهة النفوس، مصدر سابق ٤٥٦/١ ولم يقل باحتلال بايزيد لقيصرية.

ابن قاضي شهاب: تاريخه مصدر سابق. ص: ٣٨٣.

القرماني: اخبار الدول، مصدر سابق، ص: ٣٠٠ وأشار الى ان بايزيد استولى على كل أملاك برهان الدين في سيواس وتوقات وغيرها عام ٧٩٥هـ/١٣٩٢م وهذا مغاير للحقيقة، فربما غزا بايزيد أملاك برهان الدين ولم يحتلها.

لحساب بايزيد بن مراد بن أورخان بن عثمان، وان هذا قد أقام علاقات حسنة مع السلطان برقوق فبادر القاضي برهان الدين بطلب ود السلطان برقوق بناء على ذلك، ولكن المصادر غير المقريري لا تعلق على هذه القضية كثيراً الا انها هي والمقريري تشير الى حصول التقارب صراحة بين السلطان برقوق وبايزيد ابن مراد بن أورخان بن عثمان سلطان العثمانيين عام ٧٩٦/١٣٩٣م حيث وردت رسل بايزيد تعلن بأنه جاهز لنصرة السلطان، وقد جاءت في نفس العام الذي وردت فيه رسل القاضي برهان الدين تعلن نفس الشيء^(١). ولعل برهان الدين قد شعر بالخطر المغولي المقبل من قبل تيمورلنك فاراد التقرب من السلطان برقوق وبايزيد بن مراد بن أورخان.

ومهما يكن فقد تحسنت العلاقات بين برهان الدين وبرقوق بدليل ان برهان الدين قد استنجد ببرقوق مرتين عام ٧٩٩/١٣٩٦، الأولى^(٢) عندما بدأت جموع التتار المجاورة لأزرنجان تتجه صوب سيواس، وكان لنجدة السلطان برقوق اثر في عودة التتار عن سيواس، وفي طمأننة برهان الدين وتقوية عزيمته وان السلطان برقوق لن يتركه وحيداً أمام التتار عدو الطرفين. والثانية عندما وردت كتب تيمورلنك الى برهان الدين في سيواس، تهدده وتدعوه الى اعلان الطاعة والتبعية له فيما اذا أراد لنفسه، وملكه البقاء. وقد أورد ابن عربشاه^(٣) رسالة تيمورلنك الى القاضي برهان الدين وكلها تهديد ودعوة بالخضوع له. وذكر ان القاضي برهان الدين عمد الى قطع رؤوس المتنفذين من رسل تيمورلنك وعلقها في رقاب الباقين، وقسمهم الى قسمين: قسم أرسله الى السلطان برقوق والآخر الى بايزيد بن مراد بن أورخان بن عثمان، وأرسل مع كل قسم رسالة منه تحرض السلطانين برقوق وبايزيد على تيمورلنك، وتعلن ان ما أقدم عليه القاضي برهان الدين، هو في الواقع حماية له ولهما ودفاعاً عن أملاكهم جميعاً. وأن ما فعله تم بعد ان اعتمد على مساعدتهما والا فهو لا يستطيع الوقوف أمام تيمورلنك وجيوشه، ويعلن لهما بأن عليهما تقديم المساعدة الكافية لردع تيمورلنك وافشال مشاريعه العدوانية ضد مسلمي الروم والشام والجزيرة.

ويعلق ابن عربشاه^(٤)، قائلاً: ان رد السلطان برقوق لم يكن واضحاً بينما رد بايزيد بن مراد بن

(١) ابن الصيرفي: نزهة النفوس، مصدر سابق ص: ٣٩٠.

ابن قاضي شهبه: تاريخه، مصدر سابق، ص: ٤٧١، ٥١٧. وقد ذكر أن بايزيد «تصالح مع القاضي برهان الدين عام ٧٩٥هـ/١٣٩٢م بشأن قيصرية التي احتلها بايزيد عام ٧٩٣/١٣٩٠م ثم ذكر ان بايزيد ارسل عام ٧٩٦/١٣٩٣ لبرقوق انه جاهز لملاقاته على سيواس وهذا ما جعل القاضي يميل الى تحسين علاقاته ببرقوق.

(٢) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، مصدر سابق ٢/٢١٩-٢٢٠. دائرة المعارف الاسلامية، ٣/٦٠٥ مادة (برهان الدين قاضي سيواس)

ابن قاضي شهبه: تاريخه، مصدر سابق، ص: ٦٧٢، ٦٢٢.

(٣) ابن عربشاه: عجائب المقدور، مصدر سابق، ص: ٩٤، ٩٥، ٩٦.

ابن تغري: المنهل الصافي، المصدر السابق، ٤/١١٤. وأشار الى الرسالة للقاضي برهان الدين والى عودة تيمورلنك عن قصد الشام خوفاً من عساكر برقوق.

(٤) ابن عربشاه: المصدر السابق نفسه.

أورخان بن عثمان كان مشجعاً للغاية وأعلن سروره بما فعله برهان الدين، وأنه مستعد لمداده بالجيش ولوازم الحرب. ويعود ابن عربشاه^(١) للقول بأنه يعتقد بأن رد السلطان برقوق لم يكن بأقل من رد بايزيد بأي شكل من الأشكال. ولولا مقتل القاضي برهان الدين عام ١٣٩٧/٨٠٠م على أوثق الروايات لكننا شاهدنا طرفاً من العلاقات الطيبة بين سيواس والقاهرة.

علاقة القاضي برهان الدين ببايزيد بن مراد بن أورخان بن عثمان:

شهدت سلطنة بني عثمان أيام بايزيد بن مراد بن أورخان بن عثمان توسعاً على حساب الجيران في الأناضول ومنهم قاضي سيواس. ففي عام ٧٩٣/١٣٩٠م^(٢) استولى بايزيد على قيصرية من أملاك قاضي سيواس، الأمر الذي جعل القاضي يسرع في تسوية خلافاته مع بايزيد لاستعادة مدينته عام ٧٩٥/١٣٩٢م، ويعمل في نفس الوقت على إقامة علاقة طيبة مع السلطان برقوق في مصر، ليضمن نوعاً من التوازن في سياسته الخارجية معهما، وليضمن مساعدتهما ضد الخطر المغولي الذي بدأت تباشيره تلوح في الأفق، والذي تجلى عام ٧٩٩/١٣٩٦م^(٣).

ولهذا شهدت العلاقات تحسناً ملموساً بين القاضي برهان الدين والسلطان بايزيد بن مراد بن أورخان بن عثمان، بدليل ان بايزيد قد رد رداً إيجابياً على رسالة القاضي برهان الدين التي أرسلها اليه يستنجد به للوقوف في وجه الخطر التيموري عام ٧٩٩/١٣٩٦م. وقد طمأن هذا الرد القاضي برهان الدين وجعله يتأكد من مساعدة بايزيد اذا ما وقعت المواجهة بينه وبين تيمورلنك.

هذا واذا أردنا أن نتأكد من تحسن العلاقات بين القاضي برهان الدين وبايزيد، نرجع الى قرار أهل سيواس، بعد وفاة القاضي برهان الدين، عام ٨٠٠/١٣٩٧م، حيث أرسلوا الى بايزيد يدعونه الى تملك المدينة، مما يبرهن لنا بلا شك عن طيب العلاقات بين الطرفين آنذاك^(٤).

علاقة القاضي برهان الدين بتيمورلنك المغولي:

في نهاية القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، برز تيمورلنك شخصية محاربة، طامعة في السيطرة على بلاد ايران والعراق والشام والأناضول وغيرها كالهند ونواحيها. ويبدو أنه أراد ان يكون امبراطورية مغولية لا تقل عن امبراطورية جنكيزخان. ولما وصل في تحركاته التوسعية الى نواحي أرزنخان بأذربيجان عام ٧٩٩/١٣٩٦م كما مر، وأرسل الى القاضي برهان الدين يهدده ويدعوه الى طاعته، استنجد القاضي برهان الدين بكل من بايزيد بن مراد بن أورخان بن عثمان، سلطان العثمانيين، وبرقوق السلطان المملوكي. وكان ردهما مشجعاً، رغم ان رد السلطان برقوق لم يصل الى برهان الدين كتابةً، حيث كان على شكل تحركات عسكرية لجيش الشام الى جهات أذربيجان^(٥). ورغم انها لم تحقق

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) المقرئ: السلوك، مصدر سابق. ٧٤٩/٢/٣.

(٣) المصدر السابق، ٨١٧/٢/٣.

(٤) ابن عربشاه: عجائب المقدور، مصدر سابق، ص: ١٢٣، ١٢٥-١٢٦.

(٥) ابن عربشاه: عجائب المقدور، مصدر سابق، ص: ٩٦.

شيئاً، إلا أنها طمأنت برهان الدين وأعطته مزيداً من الثقة والثبات. وفي الواقع كان تيمورلنك قد اغتم كثيراً لما حل برسله كما مر على يد القاضي برهان الدين، وتأكد لديه، أنه لا يزال هناك عدد من المسلمين على استعداد للتضحية والفداء، فربما توقع الخسارة الفادحة، إذا ما أقدم على مهاجمة القاضي برهان الدين، وبخاصة بعد أن تأكد لديه موقف قوات الشام المملوكية المساند للقاضي وموقف بايزيد بن مراد بن أورخان بن عثمان المشابه، فقرر العودة إلى جهات الهند ليعالج الأمور هناك، تاركاً أمر أذربيجان والأناضول لفرصة أخرى أكثر احتمالاً للنصر.^(١) وبينما كان تيمورلنك في جهات الهند، وصلته الأخبار، بموت القاضي برهان الدين والسلطان برقوق سلطان الممالك، فسر بذلك كثيراً^(٢) وبعد موت برهان الدين وبرقوق قدم تيمورلنك إلى بلاد الأناضول ليحقق ما عجز عنه قبلاً، ولينتقم لرسله الذين قتلوا، وذلك أوائل عام ٨٠٢هـ / ١٣٩٩م^(٣) وكانت حالة المسلمين سيئة آنذاك، في كل من مصر والشام وسيواس مركز القاضي برهان الدين في الأناضول، فمصر والشام لموت سلطانهما برقوق وسيواس لقتل برهانها. وكان موتهما متقارباً، بحوالي نصف عام^(٤). وهذا مما سهل على تيمورلنك احتلال ما احتله من أراضٍ في بلاد الأناضول والشام فيما بعد.

نهاية القاضي برهان الدين، عام ٨٠٠هـ / ١٣٩٧م:

وكان لا بد من النهاية، مهما طال الأجل، وجلت الأعمال، وتعددت المواقف في حياة الإنسان. ففي عام ٨٠٠هـ / ١٣٩٧م، على أرجح الروايات، تعرضت علاقات القاضي برهان الدين أحمد، بالأمير قرايلوك التركماني إلى هزة عنيفة ساد بينهما على أثرها الخلاف والتباعد. وكان القاضي برهان الدين قد أهمل شأن قرايلوك لقلته شأنه وقلته رجاله، وكان يعتبره أقل الأمراء الموالين له شأنًا، الأمر الذي جعله يقلل من خطره ولا يأخذ حذره منه ولا يستعد له. ولكن قرايلوك أخذ يعد ويستعد ويعمل على أن يتحدى القاضي برهان الدين، إلى أن كان ذات يوم في أحد المصايف القريبة من سيواس، فمر به قرايلوك ولم ينزل للسلام عليه، كدليل على التبعية والطاعة، بل مرّ حيث يراه، وظل سائراً. ان هذا العمل قد أغاظ برهان الدين، وقرر أن يلحق قرايلوك وينزل به الأذى مع قلة رجاله، فكان أن لحق به وأدركه بعد الغروب فارتد قرايلوك عليه، ولقلة رجال القاضي برهان الدين تمكن منه والقي القبض عليه. وكان قرايلوك كما تؤكد المصادر لا ينوي قتل القاضي^(٥) برهان الدين، بل يريد أن يصفي

(١) المصدر السابق، ص: ١٠.

ابن تغري بردي: المنهل، مصدر سابق، ٤ / ١١٤.

(٢) المصدر السابق، ص: ١٠٧.

(٣) المصدر السابق، ص: ١٠٧-١٠٨.

(٤) المصدر السابق، ص: ١٠٩.

(٥) ابن عربشاه: عجائب المقدور، مصدر سابق، ص: ١١٩-١٢٠.

علاقاته به بأسلوب هادئ، مما شابها من عوامل الضعف والسوء. ولكن تدخل بعض الحاقدين على القاضي برهان الدين، أمثال شيخ نجيب توقات، صاحب توقات، الذي اخضعه القاضي وسجنه، والذي هرب من السجن حالما سمع بالقبض على القاضي برهان الدين، واجتمع بقرايلوك، وظل يحرضه ويخوفه ان هو أطلق سراح القاضي، أثار حقد قرايلوك وجعله يتخلص من القاضي أواخر عام ٨٠٠ / ١٣٩٧م، بالقرب من ديوريكي فوق قرابل^(١).

وبعد مقتل القاضي برهان الدين تولى حكم سيواس ولده، زين العابدين، علاء الدين علي، المتوفي عام ٨٤٧هـ / ١٤٤٣م لبضعة أسابيع، الا أنه لم يكن يصلح للحكم وادارة أمور الدولة^(٢). لذلك اجتمع الأهالي وقرروا تسليم حكم البلد الى بايزيد بن مراد بن أورخان بن عثمان لشجاعته وحسن ادارته، وأنه الوحيد الذي يستطيع ان يقف في وجه قرايلوك التركماني قاتل القاضي برهان الدين. وكان قرايلوك قد دخل سيواس بعد قتل القاضي برهان الدين وضيق على أهلها ليقبلوا به حاكماً عليهم، ولكنهم لم يوافقوه ووقفوا في وجهه لتعديده على قاضيه وحاكمهم وقتله، واستنجدوا بالتتار الذين قدموا بأعداد ضخمة، استطاعت ان تهزم قرايلوك وتفشل مشروعه في حكم المدينة. ولم يجد قرايلوك أمامه مفرأ سوى اللجوء الى تيمورلنك، مع مطهرتن صاحب أرزنجان فقبلهما تيمورلنك، وكانا له نعم العون والمساعد. وأما أهل سيواس فانهم قد سلموا قيادة مدينتهم الى بايزيد بن مراد بن أورخان بن عثمان، الذي أناب ابنه، سليمان مع مجموعة من الأمراء القديرين سياسياً وعسكرياً. وقد استطاع سليمان ان يسوس المدينة وجهاتها لمدة قصيرة، الى ان داهمه خطر تيمورلنك ومعاونيه، قرايلوك، ومطهرتن، وغيرهما، فهرب من المدينة لا يلوي على شيء تاركاً أمرها ومصيرها الى تيمورلنك وبطانته التي تكن الكره لسيواس وأهلها، فخرّبوها ودمروا وجهها المشرق واستعملوا أسلوب الدفن الجماعي للأحياء في خنادق خاصة^(٣).

شخصية القاضي برهان الدين:

المحنا الى ان القاضي برهان الدين قد سافر الى حلب والقاهرة، ونهل من معين العلم فيهما، فحصل شيئاً كثيراً. ثم عاد الى بلده سيواس واشتغل بالتصنيف والتدريس، وقرض الشعر بالعربية والتركية والفارسية. ومعنى هذا انه متمكن من نواحي اللغات الثلاث.

(١) المصدر السابق نفسه.

المقريزي: السلوك، ح/ ٣ ق/ ٢ ص: ٩٠٦ وذكر موته في ذي العقدة عام ٨٠٠هـ

ابن قاضي شهاب: تاريخه، مصدر سابق، ص: ٦٧٣ وذكر موته في العشر الأول من ذي الحجة عام ٨٠٠هـ

ابن تغري بردي: المنهل الصافي، مصدر سابق، ٢/ ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٤ دائرة المعارف الاسلامية، مرجع سابق ٢/ ٦٠٥ مادة برهان الدين قاضي سيواس. وجاء في المادة عدة تواريخ لموته ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١ ورجحت المادة عام ٧٩٩هـ لموته.

(٢) المقريزي: السلوك، مصدر سابق، ح/ ٣ ق/ ٢ ص: ٩٠٦

ستانلي لين بول: الدول الاسلامية، مرجع سابق ٢/ ٥٣٦، ٥٣٧.

زامباور: معجم الانساب، مرجع سابق، ص: ٢٢٣.

(٣) ابن عربشاه: عجائب المقدور، مصدر سابق، ص: ١٢٥-١٢٦

ابن تغري بردي: المنهل الصافي، مصدر سابق، ٤/ ١١٨.

وقد اشتهر القاضي برهان الدين بأنه كان فقيهاً حنيفياً، فاضلاً، كريماً الى درجة لا يصل إليها إلا القليل. وكان قريباً من قلوب الناس، محبباً الى نفوسهم. وكان شاعراً ظريفاً يحب العلم والعلماء، ويدنى منه أهل الخير والفقراء، ويجالسهم^(١) وكانت له أيام معلومة خصصها لمجالسة العلماء (الاثنين، الخميس، الجمعة من كل أسبوع) ولا يسمح لغيرهم ان يشاركهم بالجلوس فيها. وكانت له مصنفات عديدة منها «كتاب الترجيح على التلويح»^(٢). وقد جاء في دائرة المعارف الاسلامية ان له ديوان شعر موجود في المتحف البريطاني منذ عام ١٨٩٠ م / ١٣٠٨ هـ، وهو بخط نسخ كتب عام ٧٩٨ / ١٣٩٥ م. وان أطرف ما به من أشعار مجموعة من الرباعيات المعروفة بنبوغ، وهي متناثرة في ثنايا كتب الأدب الفارسي^(٣). هذا ولا تزال الى اليوم مؤلفاته معتبرة لدى العلماء في الفقه والأصول.

هذا وقد اتخذ القاضي برهان الدين، القاضي عبدالعزيز نديماً له، يشاوره في أموره، ويعتمد عليه في رأيه. وكان عبدالعزيز هو الآخر شخصية فذة محببة الى النفوس. وكان نديماً عند السلطان أحمد بن أويس، في بغداد، فاتصل به القاضي برهان الدين وأغراه بالمال والمناصب، فترك بغداد وقدم الى سيواس ودخل في خدمته وظل وفيماً له حتى وفاته. وقد ألف عبدالعزيز تاريخاً للقاضي برهان الدين في عدة مجلدات ضمنها بالتفصيل، أخبار القاضي، وما اشتهر به من علم، وما حصل له من وقائع حتى قرب وفاته. وقد سار عبدالعزيز في تاريخه على نهج العتبي في كتابه اليميني، الذي ألفه للسلطان محمود الغزنوي^(٤). وهذا التاريخ يعتبر دليل وفاء من عبدالعزيز لسيدته الجديد، القاضي برهان الدين.

ومما يجدر ذكره، ان عبدالعزيز، عزّ عليه موت القاضي برهان الدين، وقرر الرحيل من سيواس الى مصر، وعاش فيها عيشة لا يحسد عليها، حيث لجأ الى أعمال اللهو والمجون، حتى سقط عن ظهر سطح ومات^(٥).

وشخصية كشخصية قاضينا، تستلفت النظر الى كونها قد حوت علوم الفقه، بما تقتضي من شدة في الحق، وممارسة السياسة بما تقتضيه من مواقف وسطا بين الشدة والمرونة، وقول الشعر بما يقتضيه من ظرف وحضور ذهن، ومجالسة العلماء وحفاظ القرآن بما يقتضيه من هيبة ووقار، فهو شخصية تستحق الوقوف والتمعن.

وتصور لنا المصادر انه استطاع ان يقيم له حكماً بذكائه وحضور بديهته وقدرته على تصريف الأمور، فاستلم الحكم وسط مجموعة من الأمراء الطامعين، وأثبت ان العالم بإمكانه ان يقود الجموع،

(١) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ٢/ ٢٢٤، ٢٣٠.

ابن عربشاه: عجائب المقدور ص: ١٢٠-١٢١.

(٢) المصدران السابقان نفسيهما.

(٣) دائرة المعارف الاسلامية: ٦٠٥/٣ مادة «برهان الدين قاضي سيواس».

(٤) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص: ١٢١-١٢٢.

(٥) المصدر السابق نفسه.

كما يجالس العلماء. ويبحث في مسائل العلم. وبهذا استحق منا ان نظري به، ونبرز شخصيته كعالم قائد وسلطان أديب. وملك محب لرعيته من العلماء والفقراء وغيرهم.

هذا وقد استطاع قاضينا ان يوازن بين القوى المحيطة به في مسلكه، مدلاً على قدرته في هذه السبيل. ولو قدر له العيش لرأينا منه المزيد في هذا المجال. وتذكر لنا المصادر ان القاضي برهان الدين قد صاهر بني دلغادر، أصحاب الأبلستين، ومرعش، وملطية، وخزبوت، وديار بكر، وسييس، وإياس، وغيرها. فقد تزوجت ابنته حبيبة سلجق خاتون بالأمير سليمان بن محمد دلغادر، وابنته الأخرى بالأمير ناصر الدين محمد بن خليل دلغادر. وربما كان هذا في سبيل ايجاد دعم حقيقي له، وسط الامارات والدويلات، التي قامت على أنقاض دولة سلاجقة الروم، الأمر الذي جعل ولده، زين العابدين يجد له ملجأ عند أصهاره، بعد مقتل والده، وخروجه من سيواس^(٢).

وجاء في دائرة المعارف الاسلامية^(٣)، ان قبر القاضي موجود في سيواس وعليه كتابة توضح العام المرجح لوفاته، عام ٧٩٩هـ/١٣٩٦م. وهذا مخالف لما أوردته المصادر من انه مات عام ٨٠٠/١٣٩٨م^(٤) وربما تكون الكتابة وبناء القبر قد تما بعد موته بكثير مما أوقع الكاتب بوهم في تاريخ الوفاة. وكذلك يوجد قبر ابنته حبيبة المتوفاة عام ٨٥٠/١٤٤٦م، وقبر ابنه محمد جلبي المتوفي عام ٧٩٣هـ/١٣٩٠ في حياته.

وقد ألف عزيز بن أردشير الاسترأبادي سيرة حبيبة سلجق خاتون بالفارسية، وهي لا تزال مخطوطة في مكتبة أياصوفيا، تحت رقم ٣٤٦٥^(٥).

وعلى العموم، فقد اهتم قاضينا برهان الدين بالعلم وأهله وبالسياسة وضروبها، وبالشعروبحوره، وبالأدب وسلوكه، فأحب الناس وأحبه واتصل بالأمرء والوزراء وأظهر دربه سياسية وخبرة إدارية بمعاملة الملوك والوزراء. وقد شهدت سيواس في زمنه تقدماً ملحوظاً وقد أورد ابن عربشاه وصفاً لها ولأهلها نستمد منه أنها أصبحت مدينة مشهورة^(٦) «من أطراف الأمصار في أحسن الأقطار، ذات عمائر مكيئة، وأماكن خصبة، وآثر مشهورة، ومشاهد للخير معهودة، مأواها رائق، وهواؤها للأمزجة موافق، وسكانها من حشم الخلائق، يتعاونون التوقير والاحتشام، ويتعاطون أسباب التكلف والاحترام، وهي متاخمة تخوم الشام وأذربيجان، والروم.» وذكرها ابن بطوطة الذي زارها أيام علاء الدين أرتنا قبل عهد

(١) ستانلي لين بول: الدول الاسلامية، ٢/٥٣٧، ٤٥٧.

(٢) زامباور: معجم الانساب، مرجع سابق، ص: ٢٢٣.

(٣) مجلد ٣، ص: ٦٠٥ مادة «برهان الدين قاضي سيواس».

(٤) نفس المرجع السابق وذكر اختلاف الوفاة ورجح الوفاة ٧٩٩/١٣٩٦م في حين ان المصادر تقول بالوفاة عام ٨٠٠/١٣٩٧م. أنظر.

ابن تغري بردي: المنهل الصافي، مصدر سابق، ٢/٢٢٠.

المقريزي: السلوك ح/٣ ق/٢ ص: ٩٠٦.

(٥) دائرة المعارف الاسلامية، مرجع سابق، ٣/٦٠٥.

(٦) ابن عربشاه: عجائب المقدور، مصدر سابق، ص: ١٢٥.

القاضي برهان الدين بمدة قصيرة، بأنها، «مدينة حسنة العمارة، واسعة الشوارع، أسواقها غاصة بالناس، وبها دار مثل المدرسة تسمى دار السعادة لا ينزل اليها الا الشرفاء، ونقييهم ساكن بها، وتجري لهم مدة الاقامة، الفرش، والطعام، والشمع»^(١).

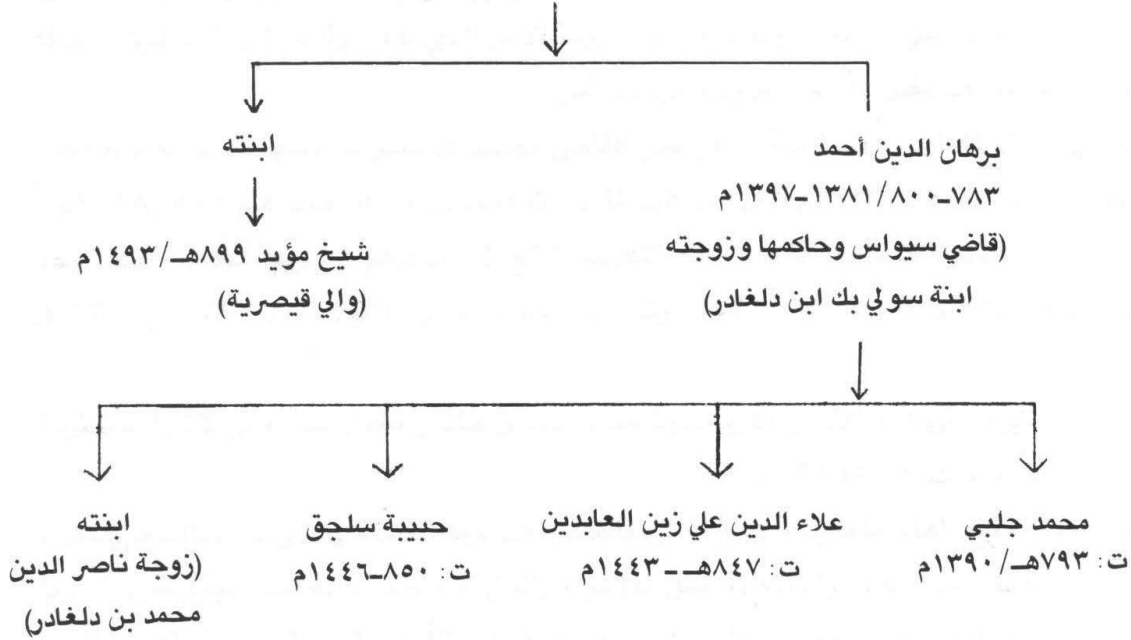
وبعد، فمهما قلنا في حق القاضي برهان الدين، فيبقى علينا حق الاطراء بموقفه أمام تيمورلنك، بامكاناته المتواضعة، حيث قتل رسل تيمورلنك الذين قدموا يهددونه بالاذعان أو الموت باباءٍ وشمم. وهو بعمله هذا قد أثبت ان التصميم على الحق، يخلق المعجزات، ويوصل صاحبه الى ذروة المجد، وبعد، أفليست الحياة كلها مواقف، أو ليس الرجال هم صانعوها!!؟

(١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، الجزء الأول، تحقيق علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، ط/١، بيروت، لبنان، ١٣٩٥/١٩٧٥ م. ١/٣٢٥-٣٢٦.

ملحق (١)

شجرة نسب القاضي برهان الدين

شمس الدين محمد بن سراج الدين سليمان
قاضي قيسرية



أصول القاضي برهان الدين أحمد وفروعه

عن: ستانلي لين بول: الدول الإسلامية. ٥٣٧/٢

Stanly lane poole

ملحق رقم (٢)

رسالة تيمورلنك لبرهان الدين أحمد قاضي سيواس

ولما قدم تيمورلنك الى الرها لنهبها «خرج اليه شخص من اعيانها يدعى عثمان بن الكشك فصالحه واشتراها بجمل من الأموال وحملها اليه وأداها، فعند ذلك أرسل الى القاضي برهان الدين، أبي العباس أحمد الحاكم بقيصرية وتوقات سيواس من الرسل عدة، ومن الكتب شدة، يبرق فيها ويرعد، ويرغي في بحرها ويزيد، ويقيم بفجاويها ويقعد.

ومن جملة فحواه ومضمون ذلك وما حواه ان يخطبوا باسم محمود خان أو سيورغاتمش خان وباسمه، ويضربوا السكة على طراز ذلك ورسمه، كما هو دأبه، ويتحملة رسوله وكتابه، فلم يؤمن له السلطان برسول ولا بكتاب، ولا تقيد له بجواب عن خطاب، بل قطع رؤوس الرؤوس من قصاده، وعلقها في أعناق الباقين، وأشهرهم في بلاده، ثم جعلهم شطرين، وقسمهم نصفين، وأرسلهم الى جهتين، للسلطان الملك الظاهر أبي سعيد برقوق منهم جزء مقسوم، والجزء الآخر الى السلطان أبي يزيد بن مراد ابن أورخان بن عثمان حاكم ممالك الروم، وأخبرهما بالقضية عن جليته، وما ورد عليه من خطاب تيمور الممقوت، وانه جعل في ذلك جوابه - بالسكوت، وقتل قاصديه نكاية، ولم يزد على هذه الحكاية وانما فعل ذلك برسله وقصاده، استهواناً به واستعظاماً لما فعله بعباد الله تعالى وبلاده».

«رسالة برهان الدين أحمد قاضي سيواس الى بايزيد بن مراد بن أورخان بن عثمان، وإلى السلطان برقوق سلطاني العثمانيين والمماليك»

«قال القاضي: اعلموا أنني جاركما ودياري دياركما، وأنا ذرة من غباركما، وقطرة من بحاركما، وما فعلت معه هذا مع ضعف حالي، وقلة مالي ورجالي، وضيق دائرتي وبلادي، ورقة حاشية طريقي وتلاذي، الا اعتماداً على مظاهرتكما، واتكالا على مناصرتكما، واقامة لاعلام حرمة دولتكما، ونشراً لرايات هيبه صولتكما، فاني جنة ثغركما، ووقاية نحركما، وجاويش جنودكما، وجاليش بنودكما، وربيئة طلائعكما، وطليلة وقائعكما، والا فمن أين لي مقاومته، وأنى يتيسر لي مصادمته؟ وقد سمعتم أحواله، وعرفتم مشاهده وأفعاله، فكم من جيش كسر وقبّل أسر، وملك مَلَك، وملك أهلك، وسترتهك ونفس سفك، وحصن فتح، وفتح منح، ومال نهب، وعز سلب، وصعب أذل، وخطب أحل، وعقل أزل، وفهم أضل، وخيل هزم، وأس هدم، وسؤل قطع، وقصد منع، وطود قلع، وطفل فجع، ورأس شدخ، وظهر فضخ، وعقد فسخ، ونار أشب، وريح أهب، وماء أغار، ورهج أثار، وقلب شوى، وكبد كوى، وجيد قضم، وطرف أعمى وسمع أصم. فاني لي ملاطمة سيل العرم ومصادمة الفيل المغتلم، فان نجدتماني، وجدتماني، وان خذلتماني، بذلتماني، ويكفيكما هيبه وشهرة، وناهيكما ابهة ونصرة، أن من خدمكما، قد أمكما، من كفاكما ما

دهاكما، وان أصابني والعياذ بالله منه ضرر، أو تطاير الى مملكتي من جمرات شره شرر، ربما تعدى ذلك الفعل بواسطة الحوادث، الى مفعول به ثان وثالث.

قلت:

والشر كالنار يبدو حين تقدحه شرارة فاذا بادرت به خمد
وان توانيت عن إطفائه كسلا أوري قبائل تشوى القلب والكبد
فلو جمع أهل الأرض كلهم لما أفادوك في إطفائه أبدا

«رد بايزيد بن مراد بن أورخان بن عثمان على رسالة القاضي برهان»

«فاما السلطان أبو يزيد بن عثمان (بايزيد)، فان هذا الفعل أعجبه، ونغم هذا القول أطربه، واستحسن هذا الحكم من القاضي واستصوبه، وأرسل اليه يقول: ان ارتدع تيمور عنه وانتهى، والا فليأتينه بجنود لا قبل له بها، فليقابله بعين قريرة، وليثبت له بحسن البصيرة، واخلاص السريرة، ولا يجزع من جنوده الغزيرة، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة.

وان اقتضت آراؤه السديدة، وأحكامه السعيدة، توجه بنفسه اليه، وقدم بالغزاة والمجاهدين عليه، ليرفع أعلامه، وينفذ أحكامه، ويكون لسيفه يدا، ولجناحه عضدا، ثم أرسل كتابه وانتظر جوابه.

«وأما الملك الظاهر (أبي سعيد، برقوق) فما رأيت له كتاباً، ولا حققت منه له جواباً، والظاهر ان جواب الملك الظاهر أبي سعيد، كان شقيق جواب السلطان الغازي أبي يزيد (بايزيد)، اذ أفعالهما وأقوالهما في الباطن والظاهر، كانت من توارد خاطر».

ابن عربشاه: عجائب المقدور في نوائب تيمور.

ص: ٩٤-٩٧.

- ابن أجا (محمد بن محمود الحلبي)، ت: ٨٨١هـ/١٤٧٦م.
- «العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك» صنفه محمد أحمد دهمان، ط/١، دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٤٠٦-١٩٨٦م.
- ابن بطوطة (أبو عبد الله، محمد بن عبد الله أو ابن إبراهيم اللواتي)، ت: ٧٧٩/١٣٧٧م.
- «رحلة ابن بطوطة» جزآن، تحقيق علي المنتصر الكتاني، ط/١، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ١٣٩٥/١٩٧٥م. وطبعة دار صادر، بيروت، ١٣٨٤/١٩٦٤م.
- ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن)، ت: ٨٧٤/١٤٦٩م.
- «النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة» ١٢ جزءاً، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، مطابع كوستا تشوماتس وشركاه، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، مصر، ١٩٦٣م. وهناك أجزاء أخرى حتى ح/١٦ تواريخ ومحققون مختلفون.
- «المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي» تحقيق محمد محمد أمين، ٤ أجزاء، الجزء الثاني تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، مركز التراث، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر. ١٩٨٤-١٩٨٦م.
- «الدليل الشافي على المنهل الصافي» تحقيق فهد شلتوت، جزآن، جامعة أم القرى بمكة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ١٩٨٣م.
- ابن حبيب (حسن بن عمر بن الحسن بن عمر)، ت: ٧٧٩/١٣٧٧م.
- «تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه» ٣ أجزاء، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٨٦م.
- ابن حجر (شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد)، ت: ٨٥٣/١٤٤٩م.
- «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» تصحيح سالم الكرنكوي، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- «أنباء الغمر بأبناء العمر» مجلدان، طبع دمشق، تحقيق محمد أحمد دهمان، مطبعة دار المعارف، دمشق، سوريا، ١٣٩٠/١٩٧٠م.
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد الحضرمي)، ت: ٨٠٨/١٤٠٥م.
- «العبر وديوان المبتدأ والخبر» مؤسسة جمال، بيروت، لبنان، ١٣٩٩/١٩٧٩م.
- الذهبي (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الدمشقي)، ت: ٧٤٨/١٣٤٧م.
- «العبر في خبر من غبر» ٥ أجزاء، الأول والرابع والخامس، تحقيق صلاح الدين المنجد، الثاني والثالث تحقيق فؤاد سيد، مطبعة حكومة الكويت، وزارة الثقافة (الاعلام)، الكويت، ١٩٦٠-١٩٦٣م. وصورت في طبعة ثانية عام ١٩٨٤م.
- «دول الاسلام» جزآن، تحقيق فهد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، مصر، ١٣٩٤/١٩٧٤م.
- زامباور (ادوارد فون)، المستشرق.

- «معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي» تعريب أحمد زكي وآخرون، جامعة فؤاد الأول (القاهرة)، مصر، ١٩٥١م.
- الشوكاني (محمد بن علي)، ت: ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م.
- «البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع» نشر معروف عبدالله باسندوة، مطبعة السعادة، ط/١، القاهرة، مصر، ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م. (جزءان).
- الصفدي (صلاح الدين خليل بن ايبك)، ت: ٧٦٤/١٣٦٢م.
- «الوافي بالوفيات» أكثر من ١٨ جزءاً، قسم باعتناء دار صادر، بيروت، لبنان. (سنوات مختلفة، باعتناء أشخاص مختلفون). (وصلت حوالي ٣٠ جزءاً الآن).
- الصيد (فؤاد عبدالمعطي)، الدكتور
- «المغول في التاريخ» ملتزم الطبع والنشر سعيد رأفت، ح/١، القاهرة، مصر.
- ابن الصيرفي (الخطيب الجوهري علي بن داود)، ت: ٩٠٠/١٤٩٤م.
- «نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان» جزءان، تحقيق حسن حبشي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٧١م.
- ابن عرشاه (أبو محمد أحمد بن محمد بن عبدالله الدمشقي)، ت: ٨٥٤/١٤٥٠م
- «عجائب المقدور في نوائب تيمور» تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الانجلو المصرية، توزيع دار الانصار، مطابع دار نافع، القاهرة، مصر، ١٣٩٩/١٩٧٩م.
- العريني (السيد الباز)، الدكتور
- «المغول» دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨١م.
- أبو الفداء (عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود)، ت: ٧٣٢/١٣٣١م.
- «المختصر في أخبار البشر» ٤ أجزاء، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ابن قاضي شهبه (تقي الدين بن أبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبه الاسدي الدمشقي)، ت: ٨٥١/١٤٤٧م
- «تاريخ ابن قاضي شهبه» المجلد الأول من الجزء الثالث من المخطوطة، تحقيق عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي، دمشق، سوريا، ١٩٧٧م.
- القرماني (أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي)، ت: ١٠١٩/١٦١٠م
- «أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ» عالم الكتب ببيروت، توزيع مكتبة المتنبي، ومكتبة سعد الدين وهبة بدمشق.
- القزويني (زكريا بن محمد بن محمود)، ت: ٦٨٢/١٢٨٣م.
- «آثار البلاد وأخبار العباد» دار صادر، بيروت، لبنان.
- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي بن أبي اليمن القاهري)، ت: ٨٢١/١٤١٨م
- «صبح الأعشى في صناعة الانشا» ١٤ جزءاً، المطبعة الأميرية، دار الكتب المصرية، المؤسسة

- المصرية العامة للكتاب، وزارة الثقافة، القاهرة، مصر، ١٣٨٣/١٩٦٣ م.
- ابن كثير (عماد الدين اسماعيل)، ت: ٧٧٤/١٣٧٢ م
- «البداية والنهاية» (٤ أجزاء) مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ١٩٦٦ م.
- ليسترنج (كي)، المستشرق.
- «بلدان الخلافة الشرقية» ترجمة كوركيس عواد، بشير فرنسيس، ط/٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٨٥/١٤٠٥ هـ.
- لين بول (ستانلي)، المستشرق.
- «الدول الإسلامية» تعريب محمد صبحي فرزات، اشراف محمد أحمد دهمان، مكتب الدراسات الإسلامية، مطبعة الملاح، دمشق، سوريا، ١٣٩٤/١٩٧٤ م.
- المقريري (تقي الدين أحمد بن علي)، ت: ٨٤٥ هـ/١٤٤١ م
- «السلوك لمعرفة دول الملوك» ٤ أجزاء، الأول والثاني تحقيق محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة. ح/١ ق/١. ط/٢، ١٩٥٦-١٩٥٧ م. ق/٣، ط/١، ١٩٣٩ م. ح/٢ ق/١ ط/١، ١٩٤١ م، ق/٢، ١٩٤٧ م، ق/٣، ١٩٥٨ م.
- والجزء الثالث والرابع، تحقيق سعيد عاشور، مطبعة دار الكتب، مركز احياء التراث، القاهرة، مصر، ١٣٩٠/١٩٧٠ م - ١٣٩٢/١٩٧٢ م.
- الهمداني (رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة بن موفق الدولة)، ت: ٧١٨/١٣١٨ م
- «جامع التواريخ» تعريب فؤاد الصياد، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٣ م.
- ابن الوردي (زين الدين أوسراج الدين أبو حفص عمر بن مظفر)، ت: ٧٤٩/١٣٤٨ م
- «تتمة المختصر لأبي الفداء أو تاريخ ابن الوردي» جزءان، ط/١، اشراف وتحقيق أحمد رفعت البدرابي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٨٩/١٩٧٠ م.
- «دائرة المعارف الإسلامية» تعريب محمد الشنتاوي وآخرون، المجلد الثالث «مادة برهان الدين».

الكتب الأجنبية

The Cambridge History of Islam, vol. I.A. The central Islamic Lands from pre-Islamic Times to the first world War. Edited by. P.M. Holt, Ann. K.S. Lambton, Bernard Lewis. Cambridge University Press, Cambridge, England, 1979.